

بسم الله الرحمن الرحيم
خطبة جمعة / الملز / ٢٨/٨/١٤١٨ هـ ... (٢)
مرض القلب وعلاجه

.....

عباد الله اتقوا الله واعملوا أن الله هو الذي خلقكم وصوركم فأحسن صوركم ، { يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك } .

نعم أيها الإنسان إنك مركب من أعضاء ، ولكل عضو منك عمل خاص به ، فإذا مرض ذلك العضو تعطل عمله أو اختل . فإذا مرضت اليد مثلاً تعذر منها الأخذ والعطاء ، وإذا مرضت العين تعذر منها الإبصار ، وإذا مرض القلب بالمعاصي تعذر منه فعله الخاص به الذي خلق من أجله وهو العلم والفهم وحب الله وعبادته . ومرض القلب هو الداء العضال وهو مرض خفي قد لا يعرفه صاحبه . وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه ، لأن دواءه هو مخالفة الهوى .

إن القلب هو ملك الأعضاء ومصدر سعادتها وشقائها ، ومصدر صلاحها وفسادها ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

ففي هذا الحديث دليل على أن صلاح أعمل العبد بحسب صلاح القلب وفسادها بحسب فساد القلب ، فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع عند الله غيره { يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم } . فالقلوب على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : قلب سليم وهو السالم من الآفات والمكروهات كلها ، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته ، وخشية ما يبعد منه . النوع الثاني : القلب الميت الذي لا حياة فيه فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبد ، وهو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان بها سخط ربه ، وغضبه ، فلا يستجيب للناصح بل يتبع كل شيطان مريد .

النوع الثالث : القلب المريض ، وهو قلب له حياة وبه علة .

فالقلب الأول قلب مخبت واع لين حي ، والقلب الثاني قلب يابس ميت ، والقلب الثالث قلب مريض ، فإما إلى السلامة أدنى وإما إلى العطب أدنى .

عباد الله ولحياة القلوب وموتها ومرضها أسباب يفعلها الإنسان ، فمن أسباب حياتها :

- الإقبال على الله وتلاوة كتابه العزيز وتدبره والاشتغال بذكره فقد قال تعالى { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب } . وقال { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون } . وقال { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق } .
- مجالسة الصالحين ومخالطتهم والاقتراء بهم .
- الاستماع إلى المواعظ والتذكير بجد والمحافظة على صلاة الجمعة والجماعة .

- النظر والتفكر في مخلوقات الله وما فيها من الحكم .
- النظر في عواقب الظلمة والمفسدين وما أحل بهم من العقوبات ، قال تعالى { فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } .

عباد الله ، أما أسباب موتها فمناها :

- الإعراض عن قبول الحق بعد معرفته له قال تعالى { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين } . وقال { ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون } . وقال { يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه } .

والقلب الميت يكون صاحبه أخط من البهائم ، ويكون مآله إلى جهنم ، قال تعالى { ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب

لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون { .

فيصبح هذا القلب مطموساً منكوساً مختوماً عليه ، لا ينتفع به صاحبه ، بسبب إعراضه عن الحق ورضاه بالباطل ، فصار الباطل غذاؤه ، والضلال طريقه ، والجحيم مصيره نعوذ بالله من الخذلان .
وأما أسباب مرض القلوب فمنها :-

- أكل الحرام ، فإن المطعم الخبيث يغذي تغذية خبيثة . قال (صلى الله عليه وسلم) في الذي يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمهم حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك . وما أكثر أكل الحرام في هذا الزمان مما سبب مرض القلوب وانحطاط الأخلاق .

- ومنها فعل المعاصي ، فإن المعاصي تؤثر في القلوب وتمرضها ، قال تعالى { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } . وقد ورد في الحديث أن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقلت تلك النكتة ، وإلا تزايدت وعظم خطرهما في القلب .

- ومنها استماع ما لا يجوز استماعه من الكلام المحرم ، وعلى رأسها الغناء الموسيقي ، وهي صوت الشيطان وأداته لجذب جنوده ، قال تعالى { واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } فالمراد بصوته هو الغناء .

- ومنها النظر المحرم ، قال (صلى الله عليه وسلم) « النظر سهم مسموم من سهام إبليس » . وقال تعالى { قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون } .

خطبة ثانية

عباد الله ، إنه لا شفاء لأمراض القلوب إلا بالدواء الذي أنزله الله في كتابه وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى { يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور } وقال تعالى { وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين } .

فأقبلوا عباد الله على كتاب ربكم لتداووا قلوبكم منهما ففيهما
الشفاء والرحمة . وفيهما النور والهداية . وفيهما الروح والحياة ،
وفيهما العصمة من الشيطان ووساوسه .
واعلموا رحمكم الله

يقترح أن يضمن العلاج عكس الأسباب